إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا

إكفار الملحدين

في ضروريات الدين

لإمام العصر المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢ وتوفي ١٣٥٢هـ

رحمه الله تعالى

المجلس العلمي — إدارة ترجمان السنة

جميع حقوق الطبع محفوظة

٤١ من منشورات المجلس العلمي

مجموعة رسائل الكشميري

الطبعة الأولى ١٩٩٦م-١٤١٦هـ

الطبعة الثانية ٢٠٠٤م- ١٤٢٤هـ

٢ من منشورات المجلس العلمي

اكفار الملحدين في ضروريات الدين

الطبعة الأولى	١٩٣١م	١٣٣٩هـ
الطبعة الثانية	١٩٩٦م	١٤١٦هـ
الطبعة الثالثة	٢٠٠٤م	١٤٢٤هـ

MAJLIS ILMI:
P. o. BOX:1 JOHANNESBURG, SOUTH AFRICA
P. O. SIMLAK, DISTRICT VALSAD, GUJRAT, INDIA.
MAJLIS ILMI KARACHI

الإخراج والطباعة والتوزيع

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D/ ٤٣٧ گارڈن ایست کراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٧٢١٦٤٨٨ فاكس: ٧٢٢٣٦٨٨-٠٠٩٢٢١

المكتبة الإمدادية ..... باب العمرة مكة المكرمة - السعودية

مكتبة الإيمان ..... السمانية، المدينة المنورة - السعودية

كلمة عن كتاب "اكفار الملحدين" وسبب تاليفه

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك المثل الأعلى ، فلك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . صل على سيدنا محمد صفوة رسلك ، وخاتم أنبياءك ، وبارك وسلم ما ترفرف عليه رأيات رحمتك ، وقديم إحسانك ، وعلى آله وصحبه الذين قاموا برفع ألوية الإسلام فى سائر بقاع الأرض وبلدانك .

أما بعد ، فلاشك أن مدار النجاة والسعادة الأبدية على الإيمان بالله ، وأن مسألة الإيمان أول خلافية ظهرت فى الأمة ، فقام للتأليف والتحقيق فيها كبار المحدثين والأئمة ، منهم : الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ، والإمام محمد بن نصر المروزى ، والإمام أبوعبيد القاسم بن سلام البغدادى ، والإمام أبوبكر ابن أبى شيبة ، وأبوحاتم بن حبان البستى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، وأبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن رسته ، وأبوعبد الله بن منده الأصبهانى ، وأبوبكر البيهقى ، وأبوعبد الله الحليمى وغيرهم . ومن المتأخرين : الحافظ ابن تيمية الحرانى . وكلما حدثت الفتن وتطورت اضطر العلماء للتأليف والتحقيق بأسلوب اقتضاه العصر ، وبتدقيق توخاه الحاجة ، فقام الجهابذة من أئمة الكلام ، فحققوا الأبحاث فى أسفارهم ، والإمام الحجة محمد بن محمد بن محمد الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ أول من أفرد المسألة من المتكلمين بتأليف لطيف سماه : "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" ، وحقق فيها أن كل ما ثبت كونه من الدين بالضرورة الإيمان به واجب ، وإن الإنكار عنه كفر ، وذلك التأويل فى ضروريات الدين يرادف الإنكار ، فالتأويل فيها كفر ، مثل الإنكار

سواءً بسواء ، ثم تطورت فتن وفتن ، وظهرت بدع ومنكرات ، واتخذت القرامطة والباطنية قدوة فى الإلحاد وأسوة فى التحريف على طوال القرون ، فلم يخل عهد من عهود الإسلام إلا وبدت فيه هذه البلايا والرزايا من إلحاد وتحريف وتلبيس ، اختباراً لإيمان المؤمنين ، وامتحاناً للراسخين فى العلم ، ولكن لله الحمد على من أنعم فوفق حملة الدين لحفظه من تلك السيول الجارفة فى كل قرن من القرون . ومما بدت فتنة فى هذه البلاد فى عهد الحكومة البريطانية واستيلائها أن ظهر مدع للنبوة وهو : المرزا غلام أحمد القادياني ، وتدرج خطوات من دعاوٍ مختلفة ، فادعى أولاً : أنه مجدد ، ومثيل للمسيح ، ثم ادعى : أنه المهدى الموعود والمسيح المعهود ، وادعى معه : أنه نبي ، وظل لجميع الأنبياء ، وقال فأنا آدم ، وأنا ابراهيم ، وأنا موسى ، وأنا نوح ، وأنا داؤد ويوسف ، وأناسليمان ويحيى ، وأنا عيسى . ولما استبعد ادعاءه النبوة فقال تارةً : أنه نبي لغوى ، وتارةً نبي ظلى ، وتارة بروزنى ، على معان اخترعها الزنديق ، ثم ادعى أنه نبي غير تشريعى ، ورسول غير تشريعى ، ثم ارتقى وادعى أنه نبي تشريعى ورسول تشريعى ، ثم جعل وحيه مثل القرآن ، وجعل مسجده المسجد الأقصى ، وجعل قريته مكة المسيح ، وجعل بلدة لاهور مدينة ، وأسس مقبرة سماها : مقبرة الجنة ، كل من دفن فيها فهو من أهل الجنة ، وسمى أزواجه : أمهات المؤمنين ، وأتباعه : أمته ، وأنكر الجهاد وأنكر عقيدة ختم النبوة ، وادعى جواز ظهور نبي بعده . فهكذا أنكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، وأنكر نزول عيسى عليه السلام من السماء ، وادعى موته وصلبه ، وأنه ابن يوسف النجار . وادعى أن الدولة البريطانية ظل الله فى الأرض ، وما إلى ذلك من طامات خرافية ، واستشرت الحكومة البريطانية هذه الفتنة المقصاء على دين الإسلام فربتها ورشحتها وساعدتها بما لها من حول وطول ، ولولا رحمة الله بعباده وتوفيقه للعلماء بالذب

عن حريم دينه لزعزع هذه الفتنة الدهياء والكارثة العمياء أساس الإسلام ولكن الله من على عباده فى كل عهد بطائفة يحمل هذه الأمانة الإلهية يحفظونها ويذبون عنها كل تحريف وإلحاد ، وتأويل باطل ، ويقدمونها ناصعة لامعة تلألأ أنوارها وتشق دياجر التأويلات المظلمة . ثم لماهلك هذا الشق المتنبئ الكاذب فافترقت أذنابه فرقتين : فرقة تدعى أنه كان نبياً ، وفرقة : أنه كان مجدداً ، وسميت بـ"اللاهورية" ، فاختلف العلماء فى إكفار هؤلاء ، وكذلك تردد بعضهم بأنه إذا أمكن تأويل كلامه فهل يتأول ولا يكفر ، والتبس على آخرين قول أبى حنيفة بأنه إذا كان فى كلام أحد تسعة وتسعين وجهاً للكفر ووجه للإسلام لا يفتى بكفره ، وكذا اشتبه على طائفة أن المرأ إذا لم يلتزم الكفر وادعى الإسلام أنه لايكون كافراً ، وهكذا دارت هناك آراء وأفكار بعيدة عن وجه الصواب وبعيدة عن التحقيق ، فقام إمام العصر البحاثة محقق هذه العصور الأستاذ الكبير الفقيه المحدث الإمام مولانا الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى ثم الديوبندى المتوفى سنة ١٣٥٢هـ رحمه الله ، وحقق هذه المسائل وكشف عن وجوهها النقاب كتاباً وسنة ، حديثاً وفقهاً ، أصولاً وكلاماً ، وحقق مسألة الإيمان والكفر ، والإنكار من ضروريات الدين والتأويل فيها ، والإلحاد فى حقائق الشرع والتحريف فيها ، وما إلى ذلك من تحقيقات رصينة ومسائل عويصة من كل ما له صلة بالمقام من غرر النقول من كتب القدماء والمتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من جهابذة أهل التحقيق من مظان بعيدة وغير المظان كـ"شفاء العليل" لابن القيم ، و "صبح الأعشى" للقلقشندى ، و "خلق أفعال العباد" للبخارى ، و "كتاب العلو" للذهبى ، و "كتاب الأسماء والصفات" له ، و "كتاب الفتوحات" لابن عربى الشيخ الأكبر ، وما إلى ذلك من كتب كثيرة لايخطر ببال أحد أن هناك ما يتعلق بالموضوع . ثم لم يقتصر نقوله على فقه

الحنفية ، بل جمع غرر النقول من كتب المذاهب من المالكية والشافعية والحنابلة وكذلك لم يقتصر ولم يقتنع بكتب الماتريدية من المتكلمين ، بل نقل من الأشاعرة وعقائد الحنابلة ما دل على اتفاق مذاهب الفقهاء ومذاهب أهل الكلام .

وبالجملة جمع المواد المبعثرة فى شتى المصادر فى صعيد واحد ، وجمع فأوعى ، وبحث فاستوفى ، وحقق فأجاد واستنبط حقائق فقهية من كلام جهابذة الفقه والحديث وغيرهما ، فأفاد وأفاض فى نواحى البحث والتدقيق ، فأتى بالعجب العجاب وغربل الكتب والأسفار الضخمة ، وأخرج من ثناياها و طواياها كل ما له صلة بالموضوع ، واستوعب استيعاباً بالغاً مدهشاً ما لا يرجى إلا من أمثاله من الجهابذة المستبحرين . فيا سبحان الله ع :

إذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام

يطالع مجلدات من كتاب ويستخرج منها أسطراً وحروفاً . فرحمه الله ورضى عنه وأرضاه . من ذا الذى يقدر هذه الجهود الجبارة فى البحث والتفكير فى حنايا ضلوعه ، ومن ذا الذى يدرك هذه الأفكار الدقيقة فى مشاعره بحر لا تكدره الدلاء وداماه لا تقطع بالأرماث :

شيخ عجائبه لم تبق فى سمر ولا عجب شيخ بعده عجباً

فهذا هو كتاب " إكفار الملحدين فى ضروريات الدين " وكان سماه أولاً : " إكفار المتأولين والملحدين فى شئ من ضروريات الدين " لو لم يكن مثل هذا الإمام المحقق ألف مثل هـذا العلق النفيس وحل غو امض [illegible] وبقى الناس وأهل العلم فى لبسة وخفاء . والحمد لله قد أصبحت

المسائل هذه من عدم تكفير أهل القبلة وعدم إكفار المتأولين أبين من فرق الصديع وفلق الصبح . فلاريب أنه أحسن إلى الأمة وإلى العلم بتأليف هذا الكتاب البديع فى هذه المعضلات الدقيقة، فجزاه الله خير ما يجزى علماءه الراسخين العاملين والأعلام الربانيين . ثم قدمه لأكابر العلماء وأرباب الفتوى فى عهده مثل الحجة الفقيه المحدث العارف المحقق مولانا الشيخ خليل احمد السهارنفورى مؤلف "بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد" والمحقق الفاضل الشيخ رحيم الله البجنورى من مشاهير أصحاب الحجة مولانا محمد قاسم النانوتوى ، والعارف الفقيه الديوبندى مولانا الشيخ المفتى عزيز الرحمن الذى خدم مسند الإفتاء فى دارالعلوم بديوبند خمسين عاماً ، والشيخ الفقيه المحقق حكيم الأمة مولانا أشرف على التهانوى ، والشيخ الفقيه المفتى محمد كفاية الله الدهلوى الذى كان مداراً للفتوى فى هذه البلاد ، والمحقق متكلم هذا العصر شيخ الإسلام شبيرأحمد العثمانى شارح " مسلم " وغيرهم ، وهؤلاء الأعلام كانوا مشايخ عصرهم، كان يدور عليهم رحى الإفتاء،وكانوا أقطاب التحقيق . حتى تتفق كلمة العلماء الأجلة فى هذه المعضلات العويصة ، ولايبقى هناك أى خلاف فيها ، ولايبقى أدنى ريب فى إكفار المرزا غلام أحمد القادياني؛وكفره وكفر أتباعه وأذنابه من المرزائية واللاهورية ، ولم يكن تقديم الكتاب للتقريظ والثناء والتقدير ، وكان بعيداً من ذوقـه ، وكان فى غنى من تقريظ مشايخ العصر ، بيد أنه أراد أن يتفق كلمة القوم فى هذه المسائل التى لها أهمية كبيرة فى الوقت نفسه كما سمعته أذناى ووعاه قلبى من حضرته شفاهاً ، . والله سبحانه وإن التوفيق وهو الذى يشرح صدور العلماء لمثل هذا التحقيق ، فله الحمد الجزيل على نعمائه . والصلاة والسلام على صفوة انبياءه وعلى اله وصحبه وأصفيائه .

وأنا الفقير إلى رحمة الله البارى محمد يوسف بن السيد محمد زكريا الحسينى البنورى عفا الله عنه وعافاه ووفقه لما يحبه ويرضاه .

يوم الخميس غرة ذى القعدة الحرام سنة ١٣٨٧ هـ . وغرة فبراير سنة ١٩٦٨ م بالمدرسة العربية الإسلامية فى كراتشى باكستان .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الحق يعلو ولا يعلى، حتى يأخذ من مكانة القبول مكاناً فوق السماء ، يبسم عن بلج جبين ، وعن ثلج يقين ، ويبهر نوره وضياءه ، ويصدع صيته ومضاءه ، ويفتر عن سنا وسناء ، وجعله يدمغ الباطل فكيفما تقلب وصار أمه إلى الهاوية ، يتقهقر حتى يذهب جفاء ، ويصير هباء ، وحيث سطع الحق واستقام كعمود الصبح لوى الباطل ذنبه كذنب السرحان ، وتلون تلون الحرباء ، ومن تولاه تبوأ مقعداً من النار : وحقت عليه كلمة العذاب ، وادركه درك الشقاء وسوء القضاء ، وكم من شق أحاطت به خطيئته (أعاذنا الله من ذلك) . والحمد لله على العافية ، والمعافاة الدائمة من البلاء . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله نبي الرحمة محمد ﷺ ، خاتم الرسل والأنبياء ، الذى انقطعت [illegible] وضع لبنة فكانها وقد كمل البناء . وعلى آله وأصحابه والتابعين وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، كل صباح ومساء ، إلى يوم الجزاء .

أما بعد : فهذه رسالة فى واقعة فتوى قصدت بها النصح والذكرى، لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، سميتها : **إكفار المتأولين والملحدين فى شئ من ضروريات الدين** ، أخذاً للإسم والحكم من قوله تعالى : (إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا (١) ، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير) .

قال ابن عباس : يضعون الكلام فى غير موضعه .

والمراد " بالضروريات" على ما اشتهر فى الكتب : ما علم كونه من دين محمد ﷺ بالضرورة ، بأن تواتر عنه واستفاض، وعلمته العامة (٢)، كالوحدانية، والنبوة ، وختمها بخاتم الأنبياء، وانقطاعها بعده ، وهذا مما شهد الله به فى كتابه ، وشهدت به الكتب السابقة ، وشهد به نبينا ﷺ ، وشهد به الأموات أيضاً ، كزيد بن خارجة الذى تكلم بعد الموت ، فقال: محمد رسول الله النبي الأمى ، خاتم النبيين ، لا نبى بعده ، كان ذلك فى الكتب الأول ، ثم قال: صدق صدق . "ذكره بهذا اللفظ فى"المواهب"

---

(١) أراد بقوله : « لا يخفون علينا » : أنهم وإن كتموا كفرهم ، وتستروا بالتأويل الباطل ، وأرادوا الإخفاء ، لكنهم لا يخفون علينا . قال أبويوسف فى "كتاب الخراج" (ص ــ ١٧٩) : وكذلك الزنادقة الذين يلحدون وقد كانوا يظهرون الإسلام . منه .

(٢) أى استفاض علمه حتى وصل إلى دائرة العوام ، وعلمه كواف [illegible] توفيقه ، فإن جهله كواف منهم لعدم رغبتهم فى تعلم الدين وعلمه كواف منهم فهو ضرورى . منه .

وغيرها ، وكالبعث والجزاء ، ووجوب الصلاة والزكاة ، وحرمة الخمر ونحوها ، سمى : ضرورياً ، لأن كل أحـد يعلم أن هذا الأمر مثلاً من دين النبي ﷺ ، ولابد ، فكونها من الدين ضرورى وتدخل فى الإيمان، لا يريدون أن الإتيان بها بالجوارح لابد منه ، كما يتوهم ، فقد يكون استحباب شئ أو إباحته ضرورياً يكفر جاحده ، ولا يجب الإتيان به ، فالضرورة فى الثبوت عن حضرة الرسالة (١) ، وفى كونه من الدين ، لا من حيث العمل ، ولا من حيث الحكم المتضمن ، فقد يكون حديث متواتراً ويعلم ثبوته عنه ﷺ ضرورة ، ولا بد ، ويكون الحكم المتضمن فيه نظرياً من حيث العقل ، كحديث عذاب القبر ، ثبوته عنـه ﷺ مستفيض، وفهم كيفية العذاب مشكل . والإيمان عمل من أعمال القلب، كما أشار إليه البخارى رحمه الله تعالى (٢) يستلزم إرادة إطاعة الشريعة فى كل شئ

---

(١) وكذلك فى حاشية "جوهرة التوحيد" (ص — ١٥) وإن بعض المتواترات لا يكفر بجهلها ، نعم بجحودها بعد التعليم . وفى هامش "الموافقات" (ص — ٥٦ ج — ٢) ثم عقد الفرق الرابع والتسعين بين قاعدة : ما لا يكون الجهل فيه عذراً، وقاعدة ما يكون الجهل عذراً فيه ، وخلاصة الفرق بينهما أن الجهل المعفو عنه ما يتعذر الاحتراز عنه عادة، وغير المعفو عنه ما لا يتعذر الإحتراز عنه فى العادة: ولا بد أن يراجع ما فى الردة من "دائرة المعارف" (ص — ٣٠٨ ج — ٢) من عهده إلى أمرائه ، وكتابه إلى أهل الردة ، وما جعله دعاية (ص ٣٠٨ ج — ٤) ،

(٢) ص — ٧ ج — ١

وقبولها (١) . وهذه الإرادة شيء واحد ينسحب على كل الشريعة ، لا يزيد ولا ينقص ، فمن جحد شيئاً واحداً من الضروريات فقد آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه ، وهو من الكافرين ، وإن ركض إلى بلاد "الصين" و"أوربا" لنشر ما زعمه ديناً ، ورآه الجاهلون خدمة للإسلام :

وكل يدعى حباً للبلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وهذا الأمر هو الذى دار بين الشيخين أبى بكر وعمر ، فقاتل

(١) وفى قصة أهل نجران من الفوائد : أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله فى الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام "فتح البارى" (ص — ٧٤ ج — ٨) وأوضحه فى "الهدى" حسناً ، فراجعه . فالإيمان هو : التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ وإن لم يكن متواتراً ، والتزام أحكامه والتبرؤ من كل دين سواه .

ومن قصره من المتكلمين على الضروريات فلأن موضوع فنهم هو القطعى ، لا أن المؤمن به هو القطعى فقط . نعم التكفير إنما يكون بجحوده فقط .

ثم من قال : أنه قول وعمل ، يزيد وينقص — أى بالطاعة والمعصية — كان أراد : أنه لا بد من الفرق هناك بين المؤمن الكامل والعاصى . ومن قال : لا يزيد ولا ينقص ، كان أراد : أنه لا يتبعض ، ويكون بمجموع ما جاء به النبى ﷺ ، ثم جاء المشغوفون بالخلاف فحملوا كل عبارة فوق ما أرادوا من التشكيك فى نفس الاعتقاد أو

(ص ١٣٦ ج — ٢) . وترجمة : "عون بن عبد الله" من "تهذيب التهذيب" (ص — ٤١ ج — ٨) ومن "ايثار الحق" (ص — ٤١٠) . منه.

أبوبكر من فرق بين الصلاة والزكاة ، يريد: أنه ليس مؤمناً من لم يؤمن بالكل ، فشرح الله له صدر عمر رضي الله عنه أيضاً ؛ فرآى ما رآه أبوبكر ، فعند "مسلم" (١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله اه » (٢) .

ثم إن التواتر قد يكون من حيث الإسناد : كحديث: « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »، ذكر في "الفتح"(٣): أنه ثبت صحيحاً وحسناً من طريق ثلاثين صحابياً .

---

(١) ص — ٣٧ ج — ١

(٢) وعند "مسلم" أيضاً ما في (ص — ٨٦ ج — ١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد ﷺ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار اه » . منه .

وما في " المستدرك " (ص ٣٤٢ ج — ٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار . فجعلت أقول : أين تصديقها في كتاب الله ؟ حتى وجدت هذه الآية : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) قال : الأحزاب : الملل كلها اه » وراجع حقيقة الحال بتمامه من المصدر . منه .

(٣) ص — ١٨١ ج — ١

قلت : وأحاديث ختم النبوة جمعها بعض أصحابي ، وهو : المولوى محمد شفيع الديوبندى (١) ، فبلغت أزيد من مائة وخمسين ، منها نحو ثلاثين من " الصحاح الستة " .

وقد يكون من حيث الطبقـة ، كتواتر " القرآن " ، تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً ، درساً وتلاوة ، حفظاً وقراءة ، وتلقاه الكافـة عن الكافة طبقة عن طبقة (٢) ، اقرأ وارق إلى حضرة الرسالة ، ولا تحتاج إلى إسناد يكون عن فلان عن فلان .

وقد يكون تواتر عمل وتواتر توارث ، وقد تجتمع أقسام كما في أشياء من : الوضوء كالسواك من المضمضة ، والاستنشاق .

ثم إن التواتر يزعمه بعض الناس قليلاً ، وهو في الواقع يفوت الحصر في شريعتنا ، ويعجز الإنسان أن يفهرسه ؛ ويذهل الإنسان عن التفاته ، فإذا التفت إليـه رآه متواتراً ،وهذا كالبديهى ؛ كثيراً ما يذهل عنه ويحفظ النظرى .

وإذا علمت هذا فنقول : الصلاة فريضة ، واعتقاد فرضيتها فرض، وتحصيل علمها فرض ، وجحدها كفر ، وكذا جهلها ، والسواك سنة ، وإعتقاد سنيته فرض ، وتحصيل علمه سنة ، وجحودها كفر ، وجهله حرمان ، وتركه عتاب أو عقاب .

(١) وهو الشيخ العلامة المفتى محمد شفيع الديوبندى مدير "دارالعلوم"

(٢) وأما نقل مجموع الطبقة عن طبقة أخرى أنه كتاب منزل من الله على نبينا ﷺ فانه شئ لم يقل به جميع المسلمين

ثم أثبتنا فى الفصول الآتية إجماع أهل الحل والعقد على أن : تأويل الضروريات وإخراجها عن صورة ما تواتر عليه ، وكما جاء ، وكما فهمه ، وجرى عليه أهل التواتر ، أنه كفر . وذهبت الحنفية بعد هذا إلى أن إنكار الأمر القطعي وإن لم يبلغ إلى حد الضرورة كفر . صرح به الشيخ ابن الهمام فى " المسايرة "(١) وهو متجه من حيث الدليل .

ثم إن الأمر الشرعى الضرورى قد يكون التعبير عنه وتفهيمه للناس سهلاً ، ويشترك لسهولته فيه الخواص والأوساط والعوام ، فإذا تواتر مثل ذلك عن صاحب الشرع وكان مكشوف المراد لم تتجاذب الأدلة فيه وجب الإيمان به على حاله بدون تصرف وتعجرف ، وذلك كمسألة ختم النبوة ، لا إشكال ولا إعضال فى فهمها ، ويفهمه الكواف بجملة : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ولا نبي » . أو بجملة : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » . يكفى فى فهم هذه المسألة وحقيقتها هذه الحروف . ثم إذا تواتر عن صاحب الشرع ، واستفاض عنه نحو مائة وخمسين مرة وأزيد ، وأصر عليه وبلغه على رؤوس المنابر والمنابر ، ولم يشر مرة من الدهر إلى أنه متأول ، وفهمت عنه الأمة المشاهدون والغائبون طبقةً بعد طبقة ، واشتهر عند العامة أن لا نبوة بعد ختم الأنبياء ، وإنما ينزل عيسى عليه السلام من السماء حكماً مقسطاً ، وتكون جرت شؤون وملاحم ، ودارت دوائر بين المسلمين والنصارى ، فيقوم المهدى - عليه السلام - لإصلاح المسلمين ، وينزل عيسى - عليه السلام - لإصلاح

---

(١) ص — ٢٠٨

وتواتر نزوله عليه السلام (١) ، كما صرح به علماء النقل ، كالحافظ ابن كثير فى " تفسيره " (٢) ، والحافظ ابن حجر فى " فتحه " (٣) و "تلخيصه" (٤) .

ثم جاء ملحد وحرف تلك النصوص ــ كما فعلته الزنادقة ــ وقال بأن الله سماه : ابن مريم ، وإن المراد " باليهود " : علماء الإسلام الذين لا يؤمنون بذلك الملحد ، لأنهم جمدوا على الظاهرية وحرموا الروحانية .

ولم يدر الملحد أن الزنادقة الذين مضوا ، وبادوا ، كانوا أبلغ منه فى تلك الروحانية ، إن كانت تلك الزندقة روحانية .

وهذا أستاذه وأبوه الروحانى : " الباب " ثم "البهاء" و"قرة العين" هلكوا عن قريب ، وادعوا ما ادعى ؛ وأتباعهم الأشقياء أكثر من أتباعه ، فأين له بهاء كالبهاء ؟ وأين له ثبات فى الحروب ؟ ومكافحة بالصدر لبنادق الرصاص ؟ وإخباره بالنجاة منها ، ثم وقوع الأمر كذلك ؟ وأين له منطق كمنطق قرة العين ؟

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

---

(١) وقد جمعت أحاديث نزوله عليه السلام فى رسالة سميتها : "التصريح بما تواتر فى نزول المسيح" ، قد طبعت فيها نحو سبعين حديثاً ، ونحو أربعين منها صحاح وحسان . منه .

(٢) ص ــ ٥٨٢ ج ــ ١ فى سورة " نساء " ، وص ــ ١٣٢

(٣) ص ــ ٣٥٧ ج ــ ٦

وإنما بضاعته تلقف كلمات من الصوفية الكرام "كالتجلى" و"البروز" وتحريف مرادهم ، وسرقة القباء واتخاذه قميصاً ، وإتباع الفلسفة الجديدة وما فتشه أهل " أوربا " وجعله وحياً يوحى إليه شيطانه ، وقد مهد له ذلك قبله أمثاله ، منهم : الحكيم محمد حسن الأمروهى ، صاحب "غاية البرهان فى تأويل القرآن" على أنهم كانوا أحسن حالاً منه ، فإنهم لم يتنبأوا ، فإذا كان الأمر هكذا أكفرناه بالإجماع ، وجعلنا الهاوية أمه .

ويعجبنى قول المتنبئ :

لقد ضل قوم بأصنامهم وأما بزق رياح فلا

وقد قال قائل : إن الأحوط فيه :

وكان امرأ من جند ابليس فارتقى
به الحال حتى صار ابليس من جنده

هذا وقد بلغنى كلام بعضهم : أن مالكاً الإمام رحمه الله قائل بموت عيسى عليه السلام ، وهذا من سوء الفهم ، فقد صرح مالك رحمه الله أيضاً فى " العتبية " بنزوله ؛ كما انعقد الإجماع عليه . ذكره الأبى فى " شرح صحيح مسلم " (١) .

وأما إن كان أمراً يعسر فهمه وتفهيمه كمسألة القدر ، وعذاب القبر ، والإستواء على العرش ، والنزول إلى سماء الدنيا ، وغير ذلك من المتشابهات والأمور الإلهية ، ثم تواتر واستفاض ، فإن جحد من بلغه ذلك الأمر أصل ما جاء أكفرناه بلا خطر ، وإن بحث فى الكيفية ، وأثبت وجهاً، وزن عليه ، ونفى آخر كفرناه ، وينبغى أن يراجع ما ذكره ابن رشد

(١) ص ـ ٢٦٤ ج ـ ١

الحفيد فى رسالته " فصل المقال والكشف عن مناهج الأدلة " ، فإنه عبر عما ذكرناه بعبارة منطقية . قال عز شأنه:

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) . الآية سورة الأنعام.

ثم إن بعد ما هلك ذلك الملحد انشق العصابين أذنابه فى من يخلفه: فاتخذ من تفاريقه ساجور ، ففارق بعضهم جيله ، وأظهر أنه لم يكن نبياً ، ولم يدع ، ولم تبق فى الإسلام ، لكنه مهدى وعيسى المحمدى (والعياذ بالله) وأراد بذلك استمالة الخلق وتلفتهم إليه ، ولا ينجو من الكفر إلا من أكفر ذلك الملحد بلا تلعثم وتردد ، لوجوه :

الاول : إن ذلك الملحد ، ادعاءه النبوة بل الرسالة ، نعم وتشريعاً أكثر من نباح العواء فى كلامه، فإنكاره مكابرة فاضحة لا يلتفت إليها ، و يكفر من لم يكفره .

وما قولك فيمن لم يكفر مسيلمة وذهب يأول ادعاءه وسجعاته ؟ وما قولك فيمن لم يكفر من يعبد الصنم ، وتأول بأنه لا يعبده بل يخر لوجهه كلما رآه ؟ وهذا أيضاً مكابرة لا يلتفت إليها ، كيف ! لو رآه يسجد للصنم ألف مرة أفيخرج له الإنسان وجهاً؟ ومثل هذه المهملات لا يصغى إليها .

والثالث : إن تاب مرة واحدة قبلت توبته ، فإن تكرر ذلك منه لم تقبل اهـ .

والحاصل أن التأويل لكلامه ليس تأويلاً بل هو كذب له لا يغير حكماً .

الثاني : إنه قد تواتر ، وانعقد الإجماع على نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، فتأويل هذه وتحريفه كفر أيضاً . وقد قال فى "روح المعانى" ــ وهو من محققى المتأخرين ــ : إن من لم يقل بنزوله فقد أكفره العلماء ، وهو على القاعدة فى إنكار ما تواتر فى الشرع . وقد رأيت كلام ذلك الملحد المتنبئ فى قوله تعالى : (وإن من أهل الكتب إلا ليؤمنن به قبل موته) ، وكلام أتباعــه فقتل كيف قدر ، بذلوا جهدهم فى تأويله وتحريفه ولم يستوهم شئ ، فيجب أن يكفروا .

الثالث : إنهم منحوا رتبة مثل عيسى عليه السلام من الرسل أولى العزم لمثل هذا الأخر الزنيم فيجب أن يكفروا . راجع "فتح البارى" (١) من (باب ما يستحب للعالم إذا سئل : أى الناس أعلم) . وغاية من يحتاط لهم أن يستتيبهم ، فإن تابوا وإلا فهم كافرون ، وليس فى الشريعــة الإسلامية إلا هذا القدر ؛ كما قد أثبتناه بالإجماع فى ما بعد فى الفصول ، وعرض التوبة أيضاً إنما يكون من حاكم الإسلام عند إبرام الأمر والفصل :

فإما لهذا وإما لذا

وأما الآن فلم يبق لهم إلا الكفر ، فليجعلوه شعاراً أو دثاراً حتى يحلهم دار البوار .

---

(١) [illegible] وهو مقطوع به عقلاً ونقلاً ، والصائر إلى خلافه كافر ، لأنه أمر معلوم من الشرع بالضرورة اهـ (ص ــ ١٩٦ ج ــ ١) .

والشارع ﷺ لم يعذر قط فى تأويل باطل . فقال — فى أمر عبد الله بن حذافة أمير السرية من تحته بدخول النار — : " لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، إنما الطاعة فى المعروف " . وقال — فى المشجوج رأسه حيث أمروه بالغسل فمات — : "قتلوه قاتلهم الله". وكيف غضب فى تطويل معاذ رضي الله عنه صلاته بالقوم ؟ وفى واقعة أخرى مثلها ، لعلها لأبى بن كعب ، وفى قتل خالد من قال : " صبأنا صبأنا " ولم يحسنوا أن يقولوا : " أسلمنا " ، وفى قتل أسامة من قال: " لا إله إلا الله " فزعمها درأ لنفسه ، وفى واقعة من أعتق عبيده عند الاحتضار ولم يكن له غيرهم . وغير ذلك من الوقائع ، كالسؤال عن ضالة الإبل ، مما كان التأويل فيها فى غير محله ، وعلى تعبير الفقهاء فى فصل غير مجتهد فيه ، بخلاف نحو ترك الصلاة عند الذهاب إلى بنى قريظة، ومن صلى بالتيمم ثم وجد الماء فى الوقت فتوضأ وأعاد: ومن لم يعد فلم يعنف أحداً فيه ، لأن التأويل فيه لم يكن قطعى البطلان ، ولكم أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ . والله الهادى ، ومن يضلل الله فما له من هاد .

تفسير الزندقة والإلحاد والباطنية وحكمها ثلاثتها واحد وهو الكفر

قال : التفتازانى فى " مقاصد الطالبين فى أصول الدين " : الكافر إن أظهر الإيمان خص باسم " المنافق " ، وإن كفر بعد الإسلام " فبالمرتد " ، وإن قال بتعدد الآلهة " فبالمشرك " ، وإن تدين ببعض الأديان " فبالكتابى " ، وإن أسند الحوادث إلى الزمان واعتقد قدمه